# زيارة الإمام الحسين عليه السلام بين الروحانية والإصلاح
# دراسة منهجية متعددة الأبعاد

**م. م حسين علي سلطان العلي**

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

Hussain.sultan@uokerbala.edu.iq

# زيارة الإمام الحسين عليه السلام بين الروحانية والإصلاح
## دراسة منهجية متعددة الأبعاد

**م. م حسين علي سلطان العلي**

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

Hussain.sultan@uokerbala.edu.iq

## الملخص

تتناول هذه الدراسة بالبحث والتحليل زيارة الإمام الحسين عليه السلام بوصفها شعيرة دينية تحمل أبعادًا متعددة تجمع بين التربوي، الروحي، والاجتماعي، مما يجعلها ذات تأثير عميق في بناء الفرد والمجتمع. تسلط الدراسة الضوء على الأبعاد المختلفة لهذه الزيارة، ومنها البعد التربوي الذي يعزز غرس القيم الأخلاقية والسلوكية المستمدة من نهضة الإمام الحسين عليه السلام، والبعد العقلائي الذي يؤكد عالميتها وانسجامها مع المبادئ الإنسانية في تعظيم الشخصيات العظيمة، والبعد الشعائري الذي يعكس الولاء والانتماء الفكري والعقائدي.

كما تتناول البعد الوجداني الذي يظهر ارتباط المؤمنين العاطفي بأهل البيت عليهم السلام، والبعد العرفاني الذي يُبرز دور الزيارة في التزكية الروحية. وتؤكد الدراسة أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليست مجرد طقس تعبدي، بل هي منهج تكاملي لصناعة الإنسان الرسالي الذي يحمل قيم النهضة الحسينية ويسعى لتطبيقها في حياته اليومية.

اعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا لدراسة النصوص الدينية والروايات التاريخية المتعلقة بالزيارة الحسينية، مع ربطها بالمفاهيم التربوية والاجتماعية. وتوصلت الدراسة إلى أن هذه الزيارة تُسهم بشكل كبير في بناء منظومة القيم الأخلاقية والاجتماعية، وتعمل كأداة تربوية واجتماعية لتحفيز الفرد على الإصلاح الذاتي والمجتمعي، فضلًا عن دورها في ترسيخ الهوية الإسلامية وتعزيز التفاعل الإيجابي مع مبادئ النهضة الحسينية.

توصي الدراسة بأهمية تعزيز الدراسات الأكاديمية حول الشعائر الحسينية وتسليط الضوء على أبعادها المتعددة، لما لها من دور محوري في بناء المجتمعات المؤمنة وتعزيز القيم الإنسانية السامية في مواجهة التحديات الراهنة.

**الكلمات المفتاحية:** الإمام الحسين عليه السلام، الزيارة الحسينية، الزائرون، القيم، المبادئ.

# *The Visit to Imam Hussein (Peace Be Upon Him) Between Spirituality and Reform: A Multidimensional Methodological Study*

***Assistant Lecturer Hussain Ali Sultan Al-Ali***

*University of Karbala | College of Islamic Sciences*

Hussain.sultan@uokerbala.edu.iq

## *Abstract*

This research analyzes and examines the visit to Imam Hussein (peace be upon him) as a religious ritual encompassing multiple dimensions, combining educational, spiritual, and social aspects. This makes it profoundly impactful in shaping individuals and communities. The study sheds light on the various dimensions of this visit, including its educational aspect, which fosters the instillation of moral and behavioral values derived from Imam Hussein's (peace be upon him) revolution, and the rational dimension that highlights its universality and harmony with human principles in honoring great personalities. It also addresses the ritualistic dimension, which reflects loyalty and intellectual and doctrinal affiliation.

Additionally, the research explores the emotional dimension, showcasing believers' sentimental connection to Ahlulbayt (peace be upon them), and the mystical dimension, which emphasizes the visit's role in spiritual purification. The study underscores that the visit to Imam Hussein (peace be upon him) is not merely a devotional practice but a comprehensive methodology for creating a visionary individual who upholds the values of Imam Hussein's movement and seeks to apply them in daily life.

The research adopts an analytical approach to studying religious texts and historical narratives related to the pilgrimage to Imam Hussein (peace be upon him), linking them to educational and social concepts. The study concludes that this visit significantly contributes to building a system of moral and social values and serves as an educational and social tool to encourage self and societal reform. Moreover, it plays a pivotal role in reinforcing Islamic identity and fostering positive engagement with the principles of Imam Hussein's movement.The study recommends enhancing academic research on Hussaini rituals and shedding light on their multifaceted dimensions, given their central role in building faithful communities and promoting lofty human values in the face of contemporary challenges.

***Keywords***: *Imam Hussein (peace be upon him), Hussaini visitation, visitors, values, principles.*

## المقدمة

تُعد دراسة الشعائر الدينية من المجالات الحيوية التي تسهم في فهم البنية الفكرية والثقافية للمجتمعات الإسلامية. ومن أبرز هذه الشعائر زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي تحمل في طياتها أبعادًا متعددة، تربط بين الروحي، التربوي، والاجتماعي، مما يجعلها نموذجًا فريدًا للتفاعل الإنساني مع القيم العليا. فالزيارة الحسينية ليست مجرد مظهر ديني تعبدي، بل هي منظومة متكاملة تهدف إلى غرس القيم الأخلاقية والإنسانية، وترسيخ معاني الإصلاح، العدالة، والتضحية في وجدان الأفراد والجماعات.

تتجلى أهمية الزيارة الحسينية في قدرتها على تحفيز الإنسان لمراجعة ذاته وسلوكياته، إذ تستمد قيمتها من مبادئ نهضة الإمام الحسين عليه السلام، التي شكلت علامة فارقة في التاريخ الإسلامي، وحركة إصلاحية ضد الفساد والطغيان. وعن طريق إعادة تكرار هذه الزيارة، تتعمق تلك المبادئ في نفوس المؤمنين، مما يجعلها أداة فعّالة لتربية النفس، وتعزيز الروابط الاجتماعية، وبناء مجتمع قائم على القيم الرسالية.

وبناءً على ذلك، تنطلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسة تتمثل في التساؤل عن مدى تأثير الزيارة الحسينية في بناء الشخصية المؤمنة وتعزيز القيم الدينية والاجتماعية. ومن هذه الإشكالية تتفرع عدة أسئلة فرعية، منها:

١. هل عزز البعد التربوي للزيارة بناء الشخصية المؤمنة على أسس القيم الإسلامية؟ وكيف يمكن للزيارة أن تربي الإنسان على المبادئ التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته؟

٢. هل اقتصر تعظيم ذكرى الإمام الحسين عليه السلام على المسلمين فقط، أم أنه تجاوز ذلك ليشمل أتباع ديانات وثقافات مختلفة؟

٣. هل نجح البعد الشعائري في إظهار الزيارة كوسيلة للإعلان عن الولاء والانتماء لمدرسة أهل البيت عليهم السلام؟

٤. هل كانت إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام مجرد شعيرة دينية، أم أنها تحمل أبعادًا فكرية واجتماعية عميقة؟

٥. هل عكس البعد الوجداني لهذه الزيارة محبة المؤمنين لأهل البيت عليهم السلام؟

٦. ما الأثر الذي أبرزه البعد العرفاني في الزيارة الحسينية في تزكية الروح؟

٧. هل رسمت الزيارة المبادئ التي تبناها الإمام الحسين عليه السلام في نفوس الزائرين، ثم أصبحت وسيلة لنقل رسالته إلى الأجيال القادمة والعالم بأسره؟

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي القائم على استقراء النصوص والروايات التاريخية، وربطها بالمفاهيم التربوية والاجتماعية. ويأمل الباحث عن طريق هذه الدراسة أن يسهم في توضيح دور الشعائر الدينية، وعلى رأسها الزيارة الحسينية، في بناء الفرد والمجتمع وفق القيم الإسلامية السامية.

## البعد الأول

## البعد التربوي

الزيارة الحسينية ليست مجرد وسيلة لتوثيق حدث تاريخي أو توجيه اللوم إلى الظالمين الذين ارتكبوا جريمة قتل الإمـام الحسين عليه السلام، أو مناسبة للتعبير عن الحزن والمواساة لمصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، بل هي أيضًا أداة تربوية عميقة ومتكاملة تهدف إلى غرس وتعزيز القيم والمبادئ التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته. هذه الزيارة لا تقتصر على التذكير بالماضي، بل تسعى إلى ترسيخ هذه القيم والمبادئ في النفس الإنسانية عن طريق تكرارها وتعزيزها، مما يساهم في تحويلها إلى سلوكيات يومية.

ولفهم كيف أن الـزيـارة تـربي الإنسان على هذه المبادئ يمكننا الرجوع إلى بعض الدراسات الحديثة التي تتعلق بكيفية تأثير تكرار الأفكار والمفاهيم على العقل البشري. في هذا السياق، يشير البروفيسور الأميركي أنـدرو نيو بـيرغ في كتابه «كيف يغير الله عقلك» إلى أهمية تكرار القيم والمبادئ العليا لتحقيق تغيير جوهري في الشخصية الإنسانية. على الرغم من أن المؤلف لا يؤمن بالله، إلا أنه اعترف بأثر تكرار الأفكار الإيجابية في تشكيل وتغيير السلوك البشري. الفكرة هنا هي أن الإنسان إذا كرر القيم السامية والمبادئ الحسينية بشكل يومي، فإن هذه القيم تصبح جزءًا من شخصيته، وتترسخ في أفعاله وسلوكه. هذا هو جوهر التربية الحسينية، إذ إن تكرار مفاهيم النهضة الحسينية وأهدافها عن طريق الزيارة يقود المؤمنين إلى التفاعل مع هذه المبادئ في حياتهم اليومية.

يـروي نيو بيرغ قصة مأثورة من الـتراث الهندي تتحدث عن طفل يشعر بـالألم بعد أن رفض طلب صديقه باللعب معه، ويذهب إلى الحكيم طالبًا تفسيرًا لذلك. يـشرح له الحكيم أن هناك صراعًـا داخليًا بين ذئبين؛ أحدهما متغطرس وعنيد، والآخـر مسالم وطيب. والمفتاح لحل هذا الصراع هو إطعام الذئب الطيب، الـذي يمثّل القيم الإيجابية (ANDREW NEWBERG, MARK ROBERT WALDMAN, HOW GOD CHANGES YOUR BRAIN, 2024م, 220). هذا الصراع الداخلي بين الخير والشر هو ما يمر به الإنسان في كل لحظة، والزيارة الحسينية بمبادئها القوية تساعد على تغذية «الذئب الطيب» داخل الإنسان، مما يقوده إلى التحلي بالقيم الحسينية.

في الزيارة الحسينية، يُكرر الزائرون مبادئ وقيم الإمام الحسين عليه السلام بشكل مستمر، مما يجعل هذه القيم جزءًا من حياتهم اليومية. على سبيل المثال، عندما يُردد الزائرون في الزيارة: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (إبن قولويه، كامل الزيارات، ١٤١٧هـ: ٣٧٦؛ إبن طاووس،إقبال الأعمال، ١٤١٥هـ، ج ٢: ٦٣)، فإنهم لا يشهدون للإمام الحسين عليه السلام بهذه الأعمال فقط، بل هم يحثون أنفسهم على الاقتداء به في أعمالهم. تكرار هذه الشهادات تساعد الزائر على التأكيد على التزامه

بالقيم الروحية، ويجعله يضع الإمام الحسين عليه السلام في قلبه وقدوته في جميع جوانب حياته، مما يعزز من العلاقة العميقة مع الله.

الزيارة الحسينية أيضًا تساهم في غرس القيم الأخلاقية والاجتماعية في الفرد. مثلًا، عندما يُقال في الزيارة: «إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ، وَلِيٌّ لِمَنْ وَالاكُمْ» (إبن قولويه، كامل الزيارات، ١٤١٧هـ: ٣٣٠؛ إبن طاووس، إقبال الأعمال،١٤١٥هـ، ج ٢: ١٣٦) يتم التأكيد على قيم السلم، والعدل، والولاء، والصداقة. هذه القيم لا تقتصر على كونها مواقف أخلاقية، بل هي دعوة إلى تكوين مجتمع مؤمن متعاون ومتضامن. الزيارة تؤكد على فكرة أن المؤمنين «إخوة» وأنهم يجب أن يتحلوا بالقيم الإسلامية في تعاملاتهم اليومية مع الآخرين، مما يجعل هذه القيم جزءًا من سلوك المؤمن وعلاقاته مع من حوله.

من أبرز المبادئ التي تركز عليها الزيارة الحسينية هي الدعوة إلى الإصلاح، وهي قيمة جوهرية في نهضة الإمام الحسين عليه السلام. الإمام الحسين عليه السلام عندما خرج إلى كربلاء كان هدفه الأسمى هو إصلاح أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهو ما يتجلى بوضوح في كلماته التي صرح بها قبل خروجه: «إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمّة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام» (إبن أعثم، الفتوح، ١٩٩١م، ج ٥: ٢١؛ الخوارزمي، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ١٤٢٣هـ: ٢٧٣).

هذه الكلمات تُشجع الزائرين على أن يكونوا عناصر فاعلة في مجتمعاتهم، وأن يتخذوا من الإصلاح هدفًا دائمًا يسعون لتحقيقه. تكرار هذه الدعوة في الزيارة يجعل المؤمنين يتذكرون دائمًا ضرورة العمل من أجل الإصلاح في المجتمع والعمل على نشر العدالة. فكل من يزور الإمام الحسين عليه السلام يتعلم من معركته ضد الفساد والطغيان، ويُشَجَّع على اتخاذ مواقف مشابهة في حياته.

أحد الجوانب العميقة التي تزرعها الزيارة الحسينية في قلب المؤمن هي شعور الرقابة المستمرة من الإمام الحسين عليه السلام. في الزيارة، نسمع كلمات مثل: «أَشْهَدُ أَنَّكَ تَشْهَدُ مَقامِي وَتَسْمَعُ كَلامِي» (إبن فهد، عدة الداعي ونجاح الساعي، ١٩٧٨م: ٦٤ ـ ٦٥؛ القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ٢٠١٤: ٤٣٧). هذه الرقابة هي إشعار بضرورة أن يكون الإنسان دائمًا في حالة وعي تام لأفعاله، وأنه يجب أن يحاسب نفسه باستمرار. في سياق هذه الزيارة، يشعر الزائر أن الحسين عليه السلام يراقب تصرفاته، وهو ما يدفعه إلى تحسين سلوكه وتقييم نفسه في كل لحظة، ليكون أكثر اقترابًا من معايير الفضيلة التي تحققت في نهضة الحسين عليه السلام.

وعليه فالزيارة ليست مجرد طقوس مفرغة من المعنى أو فعل روحي منفصل عن الحياة اليومية، بل هي وسيلة للتفاعل المستمر مع قيم الإمام الحسين عليه السلام في كل جانب من جوانب الحياة، ودعوة دائمة لمراجعة النفس. فعندما يقوم الزائر بزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، يجب عليه أن يتساءل: «هل أنا الآن في حالة تُرضي الإمام الحسين عليه السلام؟

لو كان الإمام الحسين عليه السلام حاضرًا بيننا الآن، هل سيكون راضيًا عن تصرفاتي؟». هذا التفاعل المستمر مع الإمام الحسين عليه السلام عن طريق التقييم المستمر للنفس يجعل الزيارة وسيلة لتقويم الأخلاق والسلوكيات، ودفع الإنسان نحو التحسين المستمر في حياته الشخصية والروحية.

## البعد الثاني

## البعد العقلائي

في هذا البعد، نجد أن إحياء ذكرى العظماء ليس محصورًا في دين معين أو ثقافة بعينها، بل هو أمر مشترك بين جميع الشعوب على اختلاف أديانهم وأعراقهم. إذا نظرنا إلى سيرة البشر في مختلف أنحاء العالم، نجد أن تعظيم ذكرى العظماء يمثل سلوكًا عقلائيًا متجذرًا في ثقافة الإنسانية. هذا التقليد المتجذر يعكس قيمة العظماء في كل الثقافات، فكل شعب يعترف بمكانة من قدموا له منفعة عظيمة، سواء على الصعيد الديني أو السياسي أو الاجتماعي، وعن طريق هذه الذكرى، يعبر المجتمع عن امتنانه لما قدمه هؤلاء العظماء، ويعمل على نقل قيمهم وتجاربهم للأجيال القادمة.

في العديد من البلدان، نلاحظ أن هناك تماثيل، مراكز ثقافية، أو حتى مناسبات سنوية خصصت لتخليد ذكرى الشخصيات التي كان لها تأثير عميق في مسيرة التاريخ، سواء كانت شخصيات دينية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية. على سبيل المثال، في كوبا، نجد أن الذاكرة الجماعية للشعب حاضرة في تجمعهم حول قبر الزعيم «تشي جيفارا»، إذ يتوافد الناس من جميع أنحاء العالم، لزيارة قبره الذي أصبح مكانًا مقدسًا يتم زيارتُه سنويًا من قبل العديد من الأفراد. هذا الفعل ليس لمجرد الحنين إلى الماضي، بل هو تجسيد لعقيدة «رد الجميل» لهذا الشخص الذي الهم العالم بثورته وقدم شيئًا ذا قيمة للبشرية.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، نجد تجسيدًا آخر لهذا التقليد في إحياء ذكرى العظماء. فهناك معالم وأماكن مخصصة مثل جبل «راشمور» الذي يضم تماثيل ضخمة لعدد من رؤساء الولايات المتحدة مثل جورج واشنطن وأبراهام لينكون، بالإضافة إلى الاحتفالات السنوية المخصصة لهم. هذه الفعاليات من قبيل: بناء هذه التماثيل في هذه المعالم الشاهقة، والاحتفالات السنوية بذكراهم، تمثل تقديرًا لجهودهم في بناء الأمة والحفاظ على القيم التي قاموا عليها، مما يجعل الارتباط بهم جزءًا من الهوية الوطنية والذاكرة الجمعية، وكذلك دعوة للأجيال الجديدة ليقتدوا بتضحياتهم وإنجازاتهم.

فإحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام يتوافق تمامًا مع هذه الفكرة العقلائية المنتشرة في كل أنحاء العالم. فالإمام الحسين عليه السلام ليس فقط رمزًا دينيًا في التراث الإسلامي، بل هو رمز إنساني شامل، يمثل أسمى القيم من العزة، والإباء، والتضحية في سبيل المبادئ السامية. كما أن الإمام الحسين عليه السلام أصبح رمزًا عالميًا للحرية والتغيير، مثلما تحولت شخصيات مثل جيفارا إلى رموز للثوار في العصر الحديث. لذلك، تُعد الزيارة إلى مرقده جزءًا من تعظيم هذا العَلَم العظيم، الذي قدم لأمته وللإنسانية جمعاء نموذجًا في النضال ضد الظلم.

لا يقتصر تعظيم ذكرى الإمام الحسين عليه السلام على المسلمين فقط، بل نلاحظ حضور مختلف شرائح المجتمع من مسيحيين، ويهود، وصابئة، وحتى سياسيين في المسيرات التي تقام لإحياء ذكرى عاشوراء وزيارة الأربعين. إن هذا التعدد في المشاركين يعكس عالمية قضية الإمام الحسين عليه السلام، ومدى تأثيره على البشرية جمعاء. إن زيارة مرقده والاحتفاء به تعد تعبيرًا عقلائيًا وواقعيًا، يشبه ما تفعله الأمم الأخرى في تخليد عظمائها. كما أن هذه الزيارة تمثل ردًا للجميل، إذ يجسد الزائرون عن طريقها امتنانهم للحسين عليه السلام الذي ضحى بكل شيء في سبيل الحفاظ على المبادئ الإنسانية.

إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرد شعيرة دينية، بل هو فعل عقلائي ينبثق من تقدير الإنسان للعظماء الذين قدموا خدمة للبشرية جمعاء. فعندما يحيي الزائرون ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، فإنهم يعترفون بأثره العظيم على مسيرة التغيير الاجتماعي والسياسي، وكذلك التأكيد على المبادئ التي دعا إليها، مثل العدالة والمساواة والحرية. هذا الفعل العقلائي يعكس الاعتراف بوجود شخصيات لا يقتصر تأثيرها على الزمان والمكان الذي عاشت فيه، بل يمتد ليشمل جميع الأزمان والبيئات.

فكما أن الشعوب المختلفة في العالم تخصص مناسبات لتخليد ذكرى عظمائها، فإن الزيارة بمثابة حلقة وصل بين الأجيال المتعاقبة لتبقى هذه القيم حية ومؤثرة. وعن طريق الزيارة، يتم تذكير المجتمع دائمًا بالمبادئ العظيمة التي أرسى الحسين عليه السلام دعائمها، ويعمل المسلمون على تجديد عهودهم بمواصلة السير على خطى هذه المبادئ في حياتهم اليومية. بذلك، تصبح الزيارة جزءًا من تقاليد عقلائية تحافظ على ذاكرة الأمة وحيويتها في ظل التحديات والمتغيرات.

## البعد الثالث

## البعد الشعائري

يمكن النظر إلى الزيارة من زاوية شعائرية باعتبارها وسيلة للإعلان عن الانتماء والتأكيد على الهوية المرتبطة بالشخص المُزار. في هذا السياق، يُمكن اعتبار الزيارة بمثابة شعار يعكس الانتماء والولاء، تمامًا كما تمثل الشعارات في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية علامات دالة على الانتماء أو التأييد. فالشعائر، بما فيها الزيارة، تعد من أرقى صور التعبير عن الانتماء، حيث تُظهر ارتباط الشخص بمجموعة أو مبدأ معين.

الزيارة تمثل إعلانًا عمليًا للانتماء إلى مدرسة الحسين عليه السلام، ويُعد الوقوف عند قبره إعلانًا صريحًا عن هذا الانتماء. فعندما يتوجه الزائر إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام ويقف أمامه، فهو لا يكتفِ بالكلمات بل يقدم تصرفًا عمليًا يُعلن عن طريقه انتماءه لمعسكر الحسين عليه السلام، ويعبّر عن ولائه لمبادئه وقيمه. هذا الإعلان ليس مقتصرًا على الأفراد فحسب، بل يشمل جماعات بأكملها، كما يظهر في التجمعات الكبيرة التي تحدث خلال مواسم الزيارة. بهذا المعنى، فإن الزيارة تتجاوز كونها مجرد فعل ديني طقسي إلى كونها وسيلة لتوثيق الانتماء الفكري والعقائدي.

من أجل فهم بعد الشعائرية بشكل أعمق، يجب النظر إلى الزيارة عن طريق ثلاثة جوانب رئيسة:

**أولًا**: إعلان الوفاء بالعهد، تعد الزيارة إعلانًا للوفاء بالعهد الذي قطعه المؤمنون مع أهل البيت عليهم السلام. وهو ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام إذ قال: «أن لكل إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم» (الكليني، الكافي، ٢٠٠٠، ج ٤: ٥٦٧؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١٩٨٤م، ج ١: ٢٩٢). هذا الحديث يبين أن زيارة قبور الأئمة عليهم السلام تُعد شكلا من أشكال الوفاء بالعهد مع الإمام، وهي جزء من الالتزام العقائدي والمعرفي. فالزيارة تُمثل شهادة حية على أن الشخص الزائر يلتزم بمبادئ الإمام الحسين عليه السلام ويؤمن برسالته.

**ثانيًا**: الالتزام بمقتضيات الوفاء والانتماء، ومن بين أبرز هذه المقتضيات التزام الزائر بالقيم والمبادئ التي استشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام في شتى جوانب الحياة. وكمثال يمكن مقارنة ذلك بمشجع كرة القدم الذي يرتدي زي فريقه ويُظهر التزامه بهذا الفريق، لذا فإن زيارة الحسين عليه السلام تُمثل إعلانًا بالتزام الشخص بقيمه وتعاليمه. الشخص الذي يزور الحسين عليه السلام ليس فقط يعلن عن انتمائه، بل يعلن التزامه بمبادئه السلوكية والعقائدية، مثل احترام العدالة والحرية والدفاع عن المظلومين. هذا الالتزام يظهر في نصوص الزيارة التي تتضمن إشارات إلى إيمان الزائر بعقائد أهل البيت عليهم السلام، مثل شهادته بعصمتهم وتأكيده على معارفهم السامية، إضافة إلى التزامه بالقيم الأخلاقية التي حملوها. فإعلان الانتماء للحسين عليه السلام لا يقتصر على الكلمات فقط، بل يجب أن يتبعه سلوك حقيقي يترجم هذا الانتماء إلى واقع عملي، فيجب على الزائر أن يكون حسينياً ليس فقط بالقلب أو اللسان، بل في الأقوال والأفعال أيضًا.

إن التكرار في الزيارة يُساهم في ترسيخ المبادئ التي يتبناها الإمام الحسين عليه السلام في نفوس الزوار. هذا التكرار، الذي يتم عن طريق أداء الزيارة بشكل دوري، يشبه إلى حد كبير النشيد الوطني الذي يردد في المدارس بغية ترسيخ مفاهيم الولاء والانتماء الوطني في نفوس الطلاب. في حالة الزيارة فإن التكرار يُساهم في تثبيت القيم والمبادئ التي يمثلها الإمام الحسين عليه السلام في قلب الزائر. فكلما كرر الزائر الزيارة، كلما ترسخت في ذهنه تلك القيم السامية التي ضحى الحسين عليه السلام من أجلها. وهذا التكرار يساهم في تقوية العلاقة بين الزوار وقيم الإمام الحسين عليه السلام.

**ثالثًا**: ترويج هذا الانتماء على نطاق أوسع، تمتلك الزيارة بُعدًا جماعيًا يساهم في نشر رسالة الإمام الحسين عليه السلام للعالم. عندما يتجمع الزائرون في مكان واحد ويؤدون الزيارة في وقت واحد، فإن هذا الفعل الجماعي يكون بمثابة حملة دعائية لقيم الحسين عليه السلام. فكما أن المسيرات السياسية أو الاجتماعية في مختلف أنحاء العالم تساهم في تسليط الضوء على قضايا معينة، فإن زيارة الحسين عليه السلام تجمع الناس لتسليط الضوء على قيم العدالة، التضحية، والحرية. هذا التجمهر هو رسالة ترويجية للقيم التي يمثلها الحسين، وقد تثير هذه الزيارة

فضول الآخرين وتدفعهم للتساؤل والتعرف على هذه القيم. بهذه الطريقة، تصبح الزيارة وسيلة لنقل رسالة الحسين عليه السلام للأجيال القادمة وللعالم بأسره.

## البعد الرابع

## البعد الوجداني

تكتسب علاقة الزائر بأهل البيت عليهم السلام بُعدًا وجدانيًا عميقًا ينعكس في المحبة والتعلق القلبي. وهذا الجانب العاطفي يشكل ركيزة أساسية في فهم الزيارة من منظور إيماني. فقد ارتبطت المحبة لأهل البيت عليهم السلام بالعديد من النصوص القرآنية والروائية، إذ أكد القرآن الكريم على ضرورة المودة في القربى كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (سورة الشورى: ٢٣)، وكذلك الأحاديث النبوية التي تتحدث عن محبة أهل البيت عليهم السلام، مثل قوله صلى الله عليه وآله: «يا علي، من أحبني وأحبك وأحب الأئمة من ولدك فليحمد الله على طيب مولده» (الصدوق، الأمالي، ١٤١٧هـ: ٥٦٢)، وقوله: «يا علي، من أحبك وأحب ذريتك فقد أحبني، ومن أحبني أحبه الله» (الطبري،دلائل الإمامة، ١٤١٣هـ: ١٠٢)، وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» (إبن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج ١: ٧٧؛ الترمذي، سنن الترمذي، ١٩٨٣م، ج ٥: ٣٠٥)، وقوله بحق أمير المؤمنين عليه السلام حينما جعله مقياسا بين الإيمان والنفاق، إذ قال بحقه: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» (إبن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج ١: ٩٥، ١٢٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ١٩٨٣م، ج ٥: ٣٠٦؛ الصدوق، الأمالي، ١٤١٧هـ: ١٩٧)، مما يدل على أن المحبة لأهل البيت عليهم السلام لا تقتصر على القول فقط، بل هي محبة تتجسد في الأفعال والمشاعر القلبية.

في إطار المحبة الوجدانية، نجد أن الزيارة لأهل البيت عليهم السلام ليست مجرد زيارة تقليدية أو طقسية، بل هي أعلى وأعمق تعبير عن الحب العاطفي. فعندما يحب الإنسان شخصًا ما، فإنه يسعى إلى اللقاء به، لأن اللقاء هو قمة التعبير عن المحبة. تظهر هذه الفكرة في كثير من القصص الأدبية الشهيرة، مثل قصة روميو وجولييت أو عنتر وعبلة، إذ يبرز التوق للقاء الحبيب وتجاوز الصعاب من أجل لقائه. كذلك الحال بالنسبة للزيارة، إذ أن الزائر حينما يزور الإمام الحسين عليه السلام، فإنه يعبّر عن هذا الحب في أسمى صورة ممكنة، ليس فقط عن طريق الكلمات، بل عن طريق الفعل نفسه، الذي يعبر عن اللقاء الروحي بين الزائر والإمام.

وقد عبّر النبي صلى الله عليه وآله عن هذا البُعد الوجداني حينما قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ قَبْرَكَ وَقَبْرَ وُلْدِكَ بِقَاعاً مِنْ بِقَاعِ الْجَنَّةِ وَعَرْصَةً مِنْ عَرَصَاتِهَا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ قُلُوبَ نُجَبَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَصَفْوَةٍ مِنْ عِبَادِهِ تَحِنُّ إِلَيْكُمْ وَتَحْمِلُ الْمَذَلَّةَ وَالْأَذَى فِيكُمْ فَيَعْمُرُونَ قُبُورَكُمْ، وَيُكْثِرُونَ زِيَارَتَكُمْ تَقَرُّباً مِنْهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَمَوَدَّةً مِنْهُمْ لِرَسُولِهِ، أُولَئِكَ – يَا عَلِيُّ – الْمَخْصُوصُونَ بِشَفَاعَتِي الْوَارِدُونَ حَوْضِي، وَهُمْ زُوَّارِي غَداً فِي الْجَنَّةِ» (إبن طاووس، مصباح الزائر،

١٤١٧هـ: ١٤)، هذا الحديث يدل على أن الزيارة هي أكثر من مجرد زيارة جسدية، بل هي رحلة روحية تحمل في طياتها الشوق والحنين والتقدير الكبير للمكانة السامية لأهل البيت عليهم السلام. وفي هذا السياق، تصبح الزيارة تعبيرًا حيًا عن محبة المؤمنين لهذه الشخصيات المقدسة، وتؤكد عمق الارتباط القلبي بهم.

من أعظم علامات المحبة الحقيقية هي الذكر المستمر للمحبوب، وهذا كثيراً ما يظهر في الثقافات الأدبية، خاصة في الشعر. ففي الأدب العربي، يروي الشعراء كيف يعبر المحب عن مشاعره تجاه معشوقته في كل وقت وحين، حتى في أوقات العبادة، يقول أحد الشعراء في هذا الصدد: «أصلي فابكي في الصلاة لذكرها» (بثينة، جميل، ١٩٨٢م: ٥٠)، وهذا يعني أن المحب لا يستطيع أن ينفصل عن ذكر محبوبه حتى في أوقات الصلاة. وهو نفس الشيء في محبة أهل البيت عليهم السلام، إذ أن ذكر الحسين عليه السلام في كل وقت وحين، سواء في السراء أو الضراء، في الفرح أو الحزن، هو تعبير حقيقي عن حبهم في قلب المؤمن. والشيعة يثبتون هذه المحبة عمليًا عبر الزيارة المتواصلة، فكل زيارة هي تعبير عن الحب والتعلق الروحي بالأئمة الطاهرين عليهم السلام.

فالزيارة المستمرة لأهل البيت عليهم السلام تعد من أقوى الدلائل على صدق المحبة. فالزائر يردد أسماء الأئمة عليهم السلام في جميع أوقات حياته في السراء والضراء، في الفرح والحزن. وهذه الممارسة تكشف عن محبة صادقة غير مشروطة. في المقابل، نجد أن البعض من الذين يدعون محبة أهل البيت عليهم السلام لا يظهرون نفس المستوى من التعلق أو التقدير. بل نجدهم يذكرون بعض الشخصيات التاريخية المرفوضة، مثل الحجاج بن يوسف أو يزيد، دون أي اعتراض، بينما يواجهون حساسيات عند ذكر أهل البيت عليهم السلام. هذه الفروق تُظهِر بوضوح أن المحبة الحقيقية تظهر عن طريق الاعتراف العلني والذكر المستمر، وهو ما يغيب في بعض الأوساط الأخرى. وعليه فإن كثرة الذكر لأهل البيت عليهم السلام، وتكرار ذلك في مختلف المناسبات، يعكس محبة حقيقية لهم، كما أنها علامة على الولاء القلبي والعاطفي، وتجسيد للارتباط الروحي بهم.

## البُعد الخامس

## البُعد العرفاني

عند دراسة مفهوم الهداية في القرآن الكريم، نجد أن الله سبحانه وتعالى قد تحدث عن الهداية بأكثر من معنى ودلالة، مما يعكس تنوع هذا المفهوم واختلاف مراحله وتعدد معانيه بحسب السياق الذي ترد فيه. في هذا البُعد، يُمكن تصنيف الهداية في القرآن إلى ثلاث مستويات رئيسة: الهداية العامة، الهداية الخاصة، والهداية الأخص، وكل مستوى من هذه المستويات يعكس مرحلة متقدمة من هداية الإنسان نحو الصراط المستقيم.

١. **الهداية العامة**: هي الهداية التي منحها الله للإنسان منذ لحظة خلقه. إذ خلق الله الإنسان مزودًا بعقل سليم وفطرة طاهرة، مما يتيح له القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وعلى الاعتراف بوجود الله

وعبادته. هذه الهداية هي هداية فطرية، يمكن للإنسان أن يكتشف عن طريقها الطريق الصحيح عبر التأمل في نفسه وفي الكون من حوله. نجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (سورة طه: ٥٠)، إذ يشير القرآن إلى أن الله قد هدى الإنسان بالقدرة على إدراك الحقائق عن طريق العقل والفطرة.

٢. **الهداية الخاصة:** الهداية الخاصة تمثل مرحلة متقدمة من الهداية، وهي الهداية التي تتجسد في دور الأنبياء والرسل والأوصياء الذين بعثهم الله تعالى ليكونوا هادين ومرشدين للبشر، يبينون لهم سبيل الحق ويفرقون بينه وبين الباطل. هؤلاء الأنبياء، بما فيهم النبي محمد ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام، هم الذين يتخذهم الله تعالى وسيلة لهداية البشر نحو السلوك المستقيم. وتُعبر هذه الهداية عن دور الأنبياء عليهم السلام في إرشاد الناس، إذ يُعدون قادة روحيين لهم. يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الزخرف: ٥٢)، أي أن الرسول ﷺ هو الذي يهدي البشر إلى الطريق الصحيح عن طريق رسالته وتعاليمه.

٣. **الهداية الأخص:** هي أعلى درجات الهداية، وتشير إلى مرحلة أكثر عمقًا في الارتقاء الروحي. فالهداية الأخص لا تقتصر على مجرد الإرشاد إلى الطريق، بل تشمل التزكية الروحية التي تهدف إلى تطهير النفس من المعاصي وتنقيتها من الشوائب. حيث يُصاحب الإنسان حالة من الوعي الداخلي والقدرة على تمييز الحق من الباطل. هذه الهداية الأخص تكون بوساطة الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين يسهمون في تطهير القلوب من الأدران الروحية، ويزكونها حتى تصبح قادرة على استقبال الحقائق الإلهية. كما ورد في القرآن الكريم في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (سورة الجمعة: ٢).

في هذا السياق، تلعب الزيارة دورًا جوهريًا في تحقيق التزكية الروحية للإنسان. زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام تُعد بمثابة التقاء روحي مع مصدر الطهارة، مما يُسهم في تطهير النفس. فعن طريق الزيارة، يتصل الإنسان مع مصدر الطهر، مما يجعله يبتعد عن الفواحش والمعاصي ويستمد طاقته الروحية من قداسة المعصومين. كما نجد ذلك في زيارة السيدة الزهراء عليها السلام: «فَإِنَّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاكِ إِلَّا أَلْحَقْتِنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمَا لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوَلَايَتِكِ» (الطوسي،مصباح المتهجد، ١٩٩١م: ٧١١)، وفي الزيارة الجامعة: «وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طَيِّبًا وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا وَبَرَكَةً وَتَزْكِيَةً لَنَا» (الطوسي، مصباح المتهجد، ١٩٩١م: ٧١٤)، إذ يرتبط التطهير الروحي بالزيارة بشكل مباشر.

ولنفهم العلاقة بين التزكية والهداية في ضوء الزيارة، يمكننا أن نتصور ذلك عن طريق مثال جميل ذكره جل علماء المسلمين قالوا: إذا كان لدينا ماء قليل متنجس، لكن هذا الماء لامس ماءً طاهرًا وكثيرًا، فإنه يتطهر. وكذلك الحال مع الزيارة، إذ إن المؤمن قد يمر بتجارب حياتية تجعله يتنجس روحيًا بسبب المعاصي والذنوب. ولكن

بمجرد أن يزور قبور المعصومين عليهم السلام، وتعانق روحه طهر هؤلاء المعصومين، فإنه يتطهر روحيًا ويكتسب حصانة ذاتية ضد الباطل، مما يُحدث تغييرًا إيجابيًا في حياته ويجعله ينفر من المعاصي ويسعى للطاعات. فالزيارة تحقق اتصالًا روحيًا مع مصدر الطهارة، وهو الإمام المعصوم، ما يساهم في تنقية النفس.

عن طريق هذا التطهير الروحي، فإن الإنسان يصبح أكثر مناعة ضد المعاصي وأقرب إلى طريق الهداية. وهذا يرتبط بشكل وثيق مع روايات الثواب التي تذكر أن من زار الحسين عليه السلام «غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» (إبن قولويه، كامل الزيارات، ١٤١٧هـ: ٢٦٣). البعض قد يتساءل عن معنى «ما تأخر» وما إذا كانت هذه الرواية تحفز على المعاصي، إلا أن هذا الفهم غير صحيح. المغفرة تعني أن الزيارة تُحدث تحولًا في روح المؤمن وتجعل من غير الممكن أن يعود إلى الذنوب بعد زيارة المعصومين عليهم السلام.

فالزيارة هي عملية تغيير روحي تجعل الزائر يعيش حالة من الصفاء الداخلي والاستقامة في السلوك. يُحس الزائر بعد الزيارة بحالة روحانية تختلف عن حالته قبلها، إذ تنعكس هذه الزيارة في سلوكياته اليومية، ويصبح أكثر رغبة في التقرب إلى الله وأكثر قدرة على الامتناع عن الخطايا. ومن هنا، تصبح الزيارة أكثر من مجرد شعيرة دينية، بل هي عملية تجديد روحي، تمكّن المؤمن من العيش في حالة من الطهارة الروحية التي تحصنه من الانزلاق في المعاصي.

## الخاتمة

بعد إتمام دراسة زيارة الإمام الحسين عليه السلام من مختلف أبعادها، يمكن استخلاص النتائج التالية:

(١) أكدت الدراسة أن الزيارة الحسينية تعد أداة تربوية فعّالة تعمل على غرس القيم الإنسانية والإسلامية في نفوس الأفراد، مثل العدالة، التضحية، والإيثار. وعن طريق تكرار الزيارة، تتحول هذه القيم إلى ممارسات يومية تؤثر إيجابيًا على السلوك الفردي والجماعي.

(٢) أظهرت الدراسة أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تتوافق مع الفطرة الإنسانية والعقل الجمعي الذي يدعو إلى تكريم العظماء الذين ضحوا في سبيل المبادئ السامية. وهذا يبرز عالمية الشعيرة ويعزز من مكانتها في مختلف المجتمعات.

(٣) بينت الدراسة أن الزيارة تمثل إعلانًا عمليًا للانتماء الفكري والعقائدي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتجسيدًا للولاء لمبادئ النهضة الحسينية، وهو ما يجعلها وسيلة لتعزيز الهوية الدينية والاجتماعية.

(٤) أكدت الدراسة على أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعكس ارتباطًا عاطفيًا وروحيًا عميقًا بين المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، مما يسهم في تقوية الحب والولاء وترجمته إلى أفعال إيجابية في الحياة اليومية.

(٥) أشارت الدراسة إلى أن الزيارة تُعد وسيلة لتحقيق التزكية الروحية وتنقية النفس، إذ توفر للزائر فرصة للاتصال الروحي بمقام الإمام الحسين عليه السلام، مما يعزز طهارة النفس وتقوية الإيمان.

## المصادر والمراجع:

**القرآن الكريم.**

(١) إبن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩١م).

(٢) بثينة، جميل، ديوان جميل بثينة، (بيروت: دار بيروت، ١٩٨٢م).

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣م).

(٤) إبن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، (بيروت: دار صادر، د ت).

(٥) الخوارزمي، أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي اخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ)، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق: محمد السماوي، ط ٢، (قم: أنوار الهدى، ١٤٢٣هـ).

(٦) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، الأمالي، (قم: مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ).

(٧) ----------، عيون أخبار الرضا، تحقيق: حسين الأعلمي، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٤م).

(٨) إبن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ)، إقبال الأعمال، تحقيق: جواد القيومي، (قم: المكتب الإعلامي الإسلامي، ١٤١٥هـ).

(٩) ----------، مصباح الزائر، (قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٧هـ).

(١٠) الطبري، محمد بن جرير بن رستم الطبري (ق ٥)، دلائل الإمامة، (قم: مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ).

(١١) الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ)، مصباح المتهجد، (بيروت: مؤسسة فقه الشيعة، ١٩٩١م).

(١٢) إبن فهد، أحمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١هـ)، عدة الداعي ونجاح الساعي، تعليق: أحمد الموحدي، (دار الكتاب الإسلامي، ١٩٧٨م).

(١٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، تعريب: محمد رضا النوري، ط ٣، (بيروت: دار الأضواء، ٢٠١٤).

(١٤) إبن قولويه، جعفر بن محمد القمي (ت ٣٦٨هـ)، كامل الزيارات، تحقيق: جواد القيومي، (قم: مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ).

(١٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٣، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ٢٠٠٠).

(١٦) ANDREW NEWBERG, MARK ROBERT WALDMAN, HOW GOD CHANGES YOUR BRAIN, NEW YORK: BALLANTINE BOOKS, (THE TWO WOLVES).